الكاوبوي المزيف

محمود سالم

الكاوبوي المزيف

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الكاوبوي المزيف

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٩ ٢٧٧١ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
لغز ... يبحث عن حل	١١
اجتماعٌ هام ... في القاعة الكبرى	١٥
رقم «صفر» يثير مشكلة	١٩
الشياطين ... في سلةٍ واحدة	٢٣
ظهور رجل غامض	٢٧
أسرع مغامرة ... للشياطين	٣١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

لغز ... يبحث عن حل

وقف «أحمد» مندهشًا، وهو يرقُب سريره، كان قد عاد لتوه من سهرةٍ هادئة، هزم فيها «بو عمير» في معركة شطرنج، وكان عليه أن ينام مبكرًا، حتى يستطيع الاشتراك في تمرين الرماية، الذي يبدأ في الساعة التاسعة صباح اليوم التالي؛ الأمر الذي يَضطَره أن يغادر المقر السري في السابعة صباحًا ... فهذه المرة سوف تكون طريقة الوصول إلى ميدان الرماية مختلفة؛ فالشياطين لن يتحركوا بسيارةٍ واحدة، وعلى كلٍّ منهم أن يختار الوسيلة التي سوف يصل بها. وقد اختار «أحمد» الموتوسيكل ليصل به إلى هناك. لكن ما رآه على سريره أطار النوم من عينَيه. كانت فوق السرير قصاصة من جريدة. أخذها، فوجد فوقها سؤالًا مكتوبًا بالحبر الأحمر، وكان مضمون السؤال يقول: هل قرأتَ هذا المقال؟

وفي جانبٍ آخر، كانت جملةٌ أخرى مكتوبة بنفس الحبر تقول: يجب أن تقرأه بعناية!

ابتسم «أحمد» عندما قرأ هذه الجملة، ولم يقرأ المقال مباشرة؛ فقد كان يُفكِّر: كيف وصلَت هذه القصاصة إلى سريره؟ ولماذا هو؟ وهل حدث ذلك عند بقية الشياطين؟

انتظر لحظة ثم قال لنفسه: هل أرسلها أحد من الشياطين؟ ومن هو؟

أخذ يتأمل الخط؛ حتى يُحدِّد صاحبه. وهو يعرف خطوط الشياطين جميعًا، لكنه لم يتعرف عليه؛ فقد كان مكتوبًا بطريقةٍ أنيقة. قال لنفسه في النهاية: ينبغي أن أقرأ المقال أولًا؛ فقد يكشف اهتمام صاحبه. كان عنوان المقال يقول: ««دي كويلار» يطالب بموقفٍ دولي لمواجهة طاعون العصر الحديث.

إن «أحمد» يعرف أن «دي كويلار»، هو السكرتير العام للأمم المتحدة ... وهي المنظَّمة التي تشترك فيها كل دول العالم. وهذا يعني أن القضية دوليةٌ تهم العالم كله. والطاعون مرضٌ قاتل، يصل إلى حد الوباء، الذي يصيب الناس بأعدادٍ كبيرة.

عاد إلى القراءة مرةً أخرى ... «اشتركت ١٣٨ دولةً في مؤتمر منع المخدرات الذي عُقد عام ١٩٨٧م ... لكن برغم الحماس في مكافحة المخدرات، إلا أن هناك دولًا تقوم بزراعة هذه المواد المخدرة وتصنيعها والاتجار فيها. وهذه المواد في الكوكايين والهيروين والأفيون والحشيش ... والماريجوانا وغيرها من حبوب الهلوسة ... فهذه المواد تُفقِد الإنسان قُدرتَه على التفكير أو العمل. إن السبب الأساسي في انتشار المخدرات يرجع أولًا إلى اقتصاد كثيرٍ من الدول الفقيرة، خصوصًا في أمريكا الوسطى والجنوبية ودول البحر الكاريبي التي تقوم بزراعة الأفيون وبيعه بأسعارٍ مرتفعة. وكلما زادت مقاومة انتشار هذه السموم اخترع تجارها وسائلَ علمية لتهريب هذه المخدرات، وتوصيلها إلى الشباب والطلبة في المدارس ومدمني المخدرات.»

توقَّف «أحمد» قليلًا، وقال في نفسه: إن هذه مهمةٌ خطيرة فعلًا. إن هؤلاء التجار يقضون على الشباب والطلبة بهذه السموم القاتلة. عاد من جديد يواصل القراءة: «إن مُهرِّبي الحشيش يستخدمون الأساليب التكنولوجية الحديثة، ويُرسِلون سلعتهم بالطائرات عَبْر البحار والمحيطات، ويتكلَّفون الملايين من الدولارات لنشر سمومهم. وفي مقابل ذلك، تُحاول الدول أن تحارب هؤلاء. وقد أسقطت أمريكا طائرة، كانت تشُك في أنها تحمل موادَّ مخدرة ... وذهب ركابها ضحية لهذا الشك. وإذا كانت هذه الطريقة يمكن أن توقف هذه السموم، إلا أنه لا يمكن ضمان أن كل طائرة، سوف تكون محمَّلة بالمخدِّرات؛ فقد تكون هناك طائراتٌ بريئة، فتسقط لمجرد الشك فيها، ويروح ركابها ضحية.»

ثم يضيف المقال: «إن الملايين من البشر قد لقُوا نهايتهم ضحية لتعاطي المخدرات.» ... ثم يقول: «إن تعاطي المخدرات يؤدي إلى ضياع الموارد البشرية في كل دولة. ويؤدي أيضًا إلى تفكُّك الأسرة، وإلى انتشار الجريمة. بجوار أن الدولة تفقد الكثير من جهدها وأموالها في سبيل الوقوف أمام هذا الخطر المدمر.» ثم يقول: «لقد سقط عشرات الرجال من أحسن وأفضل الرياضيين، وعدد من كبار الشخصيات، وكذلك الفنانين ... نتيجة تعاطي هذه المواد المخدرة القاتلة.»

استغرق «أحمد» في القراءة، وبرغم أن المقال كان طويلًا، إلا أنه لم يستطع التوقف؛ فهذه قضيةٌ خطيرة، تهمُّه، وتهمُّ الشياطين، وتهمُّ كل الشباب، في المدارس وخارجها. كانت الساعة تدق الثالثة صباحًا، عندما انتهى «أحمد» من قراءة المقال للمرة الثانية. قال في نفسه: لقد شغلَني المقال، وينبغي أن أنام، أما حكاية وصوله إلى غرفتي فهذه مسألة تحتاج إلى تفكير ... سوف أؤجِّلها للغد.

وفعلًا أطفأ النور، وألقى بنفسه على السرير. غير أن عقله ظل مشغولًا بقضية مكافحة المخدرات، وتذكَّر أن الشياطين خاضوا أكثر من مغامرة في هذه القضية، لعل أهمها مغامرة المثلث الذهبي.

مرةً أخرى حاول «أحمد» أن يوقف تفكيره، لكنه لم يستطع. فجأةً قفز من سريره وأخذ يؤدى بعض التمرينات الرياضية حتى شعَر بالإجهاد، فابتسم وهو يقول: الآن، سوف أستطيع النوم.

وبسرعة قفز إلى سريره، وفي دقائق كان قد استغرق في النوم، لكن رنين جرس التليفون أيقظه، وعندما فتح عينَيه، كان ضوء النهار يُغطِّي الكون. قفز من سريره بسرعة، ونظر في الساعة التي كانت تشير إلى السابعة إلا الربع. قال في نفسه: إن الربع ساعة الباقية كافيةٌ لأن أكون في مكان اللقاء في السابعة تمامًا. لكن رنين التليفون تردَّد مرةً أخرى. رفع السماعة، فجاء صوت «إلهام»: لقد تأخَّرتَ في النوم.

ابتسم وقال: صباح الخير أولًا ...

ردَّت: صباح الخير ... ما الذي أخَّرك؟

قال: هذه حكاية ينبغي أن يعرفها الشياطين.

ردَّت: إذن. هيا بسرعة، حتى لا تتأخر.

وقبل أن يضع السماعة، قالت: سوف أستخدم الموتوسيكل في الذهاب إلى ميدان الرماية ... هل تصحبني؟

ابتسم وأجاب: إلى اللقاء هناك!

وضَع سماعة التليفون، وأسرع إلى الحمام. ولم تنقضِ الدقائق الباقية حتى كان يأخذ طريقه إلى مكان اللقاء ...

كان الشياطين يقفون، وقد علَت وجوههم ابتساماتٌ عريضة، فابتسم «أحمد». لقد فكَّروا مثله تمامًا؛ فالجميع يركبون الموتوسيكلات. كان منظرًا مثيرًا، والشياطين الـ ١٣ يركبون الموتوسيكلات. وعندما أعطى المدرب إشارة البدء للتحرُّك، انطلقَت أصواتٌ خافتة؛ فهم يستخدمون موتوسيكلاتٍ خاصة، لا تصنع هذه الضوضاء التي تصنعها الموتوسيكلات العادية. وفي دقائق كانوا خارج المقر السري. كان الصباح منعشًا في هذا الوقت من السنة. وكان الأفق يبدو وكأنه قد اقترب. نتيجة المساحة الواسعة الخالية، كان الشياطين يتقدمون في صفٍّ واحد. وكانت «إلهام» تتقدَّم بجوار «أحمد» عن يمينه. وكان «بو عمير» يتقدَّم عن شماله. ابتسم «بو عمير» وقال: لنا معركة قادمة الليلة في الشطرنج.

رد «أحمد»: سوف يُسعِدني ذلك فعلًا، ويُسعِدني أكثر أن أنهزم لك!

ثم قال «بو عمير»: هل تُجرِّب سباقًا إلى ميدان الرماية؟

ابتسم «أحمد» وردَّ: إنني في حاجة إلى التفكير في مسألة تشغلني.

تساءل «بو عمير»: «هل يمكن أن أشترك فيها؟»

نظر «أحمد» إلى «إلهام» وقال: ما رأيك؟ هل أعرض الموضوع الآن؟ أم أنتظر حتى لقاء المساء؟

قالت «إلهام»: لا بأس الآن؛ فالطريق أمامنا طويل، والجو يساعد على التفكير.

انتظر لحظة، ثم بدأ يشرح «لإلهام» و«بو عمير» ما حدث معه في الليلة الماضية. كانت الدهشة تُغطِّي ملامحهما. وعندما فرغ «أحمد»، قال «بو عمير»: إنها مسألة تشبه اللغز!

قالت «إلهام»: أظن أنها مداعبة من أحد الشياطين!

ردَّ «أحمد»: لا أظن ذلك؛ فأنت تعرفين أننا نقرأ كل شيء في المكتبة، ولا يخرج أحدنا منها ومعه شيء.

تساءلت: هل تظن أنه رقم «صفر»؟

ردَّ «أحمد»: لقد فكَّرت في ذلك، لكني تردَّدتُ أن أقطع برأيي؟

قال «بو عمير»: لا أظن أنها قد جاءت من خارج المقر!

ردَّ «أحمد»: لا أظن، وإذا كانت قد جاءت من خارج المقر السري، فإن هذه تصبح سابقةً خطيرة وتنذر بأن هناك من يعرف مكان المقر، وهذه مسألة تُهدِّدنا جميعًا.

برغم أن المسألة تبدو بسيطة تمامًا، إلا أنها يمكن أن تكون شيئًا خطيرًا، كما قال «أحمد».

ولذلك قالت «إلهام»: أعتقد أننا يجب أن نطرحها أمام الشياطين جميعًا قبل أن نُوصلَها إلى الزعيم!

ردَّ «أحمد»: هذا ما فكَّرتُ فيه فعلًا.

ثم نظر إلى «بو عمير» وقال: الآن، يمكن أن نبدأ عملية السباق، ما دمنا قد أجَّلنا التفكير مؤقتًا.

نظر «أحمد» إلى الشياطين يمينًا وشمالًا، ثم قال: هل نبدأ سباقًا؟

رفع الشياطين أياديَهُم بالموافقة، وما إن أعلن «أحمد» لحظة الانطلاق، حتى كانت الموتوسيكلات تبدو كالسهام من سرعتها.

اجتماعٌ هام ... في القاعة الكبرى

كانت المساحة حول المقر السري مزروعة بالحشائش، تتخلَّلها أشجار الفاكهة، من كل نوعٍ. في نفس الوقت كانت هناك بعض أشجار الكافور العالية، وأشجار السنط واللبخ، لكنها لم تكُن تعوق الانطلاق بينها، وإن كانت تحتاج لمهارة في القيادة. وفي نهاية الأرض المزروعة كان يُوجد ميدان الرماية، وكان الشياطين ينطلقون بسرعةٍ عالية، حتى إن الأشجار كانت تبدو وكأنها في سباقٍ معهم، لكنه سباقٌ عكسي. وعند نقطة النهاية كان قد وصل أربعة فقط، هم «أحمد» و«عثمان» و«بو عمير» و«قيس». أما الآخرون فقد وصلوا بعدهم بدقيقةٍ واحدة.

قال «بو عمير» ضاحكًا: لم تستطع هزيمتي هذه المرة!

ضحك «أحمد» وقال: لا بأس؛ فليس من المستحب أن أهزمك كل يوم.

فضحك بقية الشياطين. فجأة، جاء صوت المدرب يقول: إن تمرين اليوم على الأهداف المتحرِّكة.

بسرعة أخذ كلٌّ من الشياطين مكانه واستعد، وكان تمرين اليوم بالمسدس. قال المدرب: إنه ليس هدفًا مفردًا، إنه هدفٌ مزدوج، وسوف يظهر الهدف الأول في اتجاه غير معلوم، ويظهر الهدف الثاني بعده بثانيةٍ واحدة، ثم يختفي الاثنان معًا.

انتظر لحظةً ثم قال: سوف يبقى الهدفان لمدة خمس ثوانٍ فقط. ويُسمح لكل واحد بثلاث طلقاتٍ لا غير.

استعد الشياطين؛ فهم يعرفون أن إشارة البدء مفاجئة؛ ولذلك فعليهم أن يكونوا منتبهين تمامًا حتى لا تفوت منهم ثانية من الثواني الخمس. مرَّت دقيقة دون أن يعلن المدرب لحظة البدء، فجأة، لمع ضوءٌ سريع، فضغَط كل منهم الضغطة الأولى على زناد

المسدس؛ فبعد الضغطة الثانية تنطلق الطلقة، مرت ثانية، ثم ظهرت الأهداف، وتردَّد صوت الطلقات خلال خمس ثوان فقط ... ثم اختفت الأهداف مرةً أخرى.

نظر الشياطين إلى بعضهم؛ فقد كان التدريب يحتاج لتركيزٍ شديد.

همسَت «إلهام»: إنه تدريبٌ شاق، وهذه أول مرة نجري تدريبًا بهذا النظام!

ابتسم «أحمد» وقال: إن العدو لا ينتظر ثانيةً واحدة؛ ولهذا فإن سرعة التصرُّف هي المطلوبة في هذه اللحظة.

كان الشياطين في أماكنهم لم يغادروها. مرَّت دقائق، ثم ظهر المدرب ومساعده وهو يحمل الأهداف والإصابات واضحة عليها، التفَّوا حول المدرب. الذي أخذ يشرح لهم طريقة الأهداف كان «أحمد» قد حقَّق ثلاثين درجة، وهي الدرجة النهائية، وكذلك «بو عمير» و«قيس» و«مصباح» و«باسم»، أما الآخرون فقد سجَّلوا درجاتٍ أقل تراوحت بين ثماني وعشرين وتسعٍ وعشرين درجة.

قال المدرب: لا بأس؛ فهذه نتائجُ عظيمة، خصوصًا وأنها أول مرة تُجْرون فيها مثل هذا التدريب.

صمت لحظة، ثم قال: سوف نُعيد التدريب مرةً أخرى، حتى نرى.

أسرع كلٌّ منهم يأخذ مكانه، خرجَتِ المسدسات، وأصبح الشياطين في وضع الاستعداد. فجأةً قال المدرب: لقد انتهى التدريب!

نظر الشياطين إلى بعضهم، ولم يفهموا السبب. إلا «أحمد»، فقد فكر بسرعة، وعرف لماذا انتهى التدريب. أشار المدرب إشارةً خاصة فأسرعوا إلى الموتوسيكلات، كانت «إلهام» بجوار «أحمد». فهَمسَت قائلة: ماذا حدث؟

ردَّ «أحمد» بهدوءٍ: أظن أن رقم «صفر» ...

لكنه لم يُكمِل جملته؛ فقد جاء صوت المدرب يقول: إنكم مدعُوُّون لاجتماعٍ سريع مع الزعيم.

ابتسم «أحمد» وعلَّقتْ «إلهام»: لقد توصَّلتَ للنتيجة بسرعة!

في لحظةٍ كانت الدراجات البخارية تقطع الطريق إلى المقر السري، وعندما حان موعد الاجتماع كان الشياطين يجلسون في القاعة الكبرى. مرَّت دقائق، ثم جاء صوت رقم «صفر» يقول: «ينبغي أن تُراقبوا الخريطة جيدًا، قبل أن نعقد الاجتماع.»

مرَّت لحظات، ثم بدأَت الأضواء تخفتُ في القاعة، في نفس الوقت، أخذَت الخريطة الإلكترونية تظهر شيئًا فشيئًا. وما إن أظلمَت القاعة، وظَهرتِ الخريطة تمامًا، حتى ابتسم «أحمد» لاحظَت «إلهام» ابتسامته، فهمسَت: هل توصَّلتَ إلى الإجابة؟

هَزَّ رأسه بنعم، بينما كان يستعيد في ذاكرته ما قرأه أمس، قال في نفسه: الآن، لقد وضح اللغز ... كانت الخريطة التي ظَهرتْ للأمريكتَين؛ أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية، وبينهما أمريكا الوسطى، ومجموعة الجزر الكبيرة التي تظهر في البحر الكاريبي والمحيط الأطلنطي. ظهرت جزر «جامايكا»، «كوبا»، «هسبانيولا»، «بهاما»، «بورتريكو»، «ليوارد»، «جارلوب»، وعشرات الجزر الصغيرة الأخرى.

ألقى «بو عمير» نظرة إلى «أحمد»، ثم ابتسم، فابتسم «أحمد» وقال في نفسه: هذه المنطقة مشهورة بتهريب المخدرات. وما قرأتُه أمس في المقال الصحفي يدور حول هذه القضية الخطيرة.

فجأة ظهرت طائرةٌ حمراء اللون من منطقة الكاريبي، متجهة إلى الولايات المتحدة الأمريكية. خرج سهمٌ أزرق من وسط أمريكا، واصطدم بالطائرة، فسقطَت مرةً أخرى. تذكر «أحمد» أن ما يحدُث على الخريطة هو نفس الحادث الذي قرأه أمس. فجأةً ظهَرتْ في البحر الكاريبي، مجموعة من الحيتان المتوسطة، ثم أخذت تتجه إلى الشاطئ الأمريكي، ثم توقفت هناك. كان الشياطين يتابعون الخريطة وما يظهر فوقها. فجأةً، قطع الصمت صوت رقم «صفر» يقول: «هذه هي منطقتنا.»

سكت لحظةً ثم أضاف: «من هذه المنطقة يخرج الهلاك إلى الشباب.»

ثم قال بعد عدة ثوانٍ: «إنني في الطريق إليكم!»

نظر الشياطين إلى بعضهم؛ فقد كانت كلمات رقم «صفر» غير محدَّدة. إلا أن «أحمد» و«إلهام» و«بو عمير» كانوا يفهمون ما يقصده الزعيم. كانت خطواته قد بدأَت تقترب، فاستعد الشياطين لسماع ما سوف يقول. مرَّت دقائق قبل أن يأتي صوته: «إن مغامرتكم الجديدة هي الوصول إلى المهرب الدولي الخطير «بوريجا».»

صمَت لحظةً ثم قال: «لعلكم قرأتم في جرائد الأمس دعوة سكرتير عام الأمم المتحدة إلى التكاتف من أجل القضاء على المخدرات.»

مرَّت دقيقة قبل أن يقول: «إنكم تعرفون بلا شك خطورة المخدرات، التي بدأَت تجتاح العالم، لتقضي على الشباب بالذات؛ فهم لا يزالون بلا وعيٍ حقيقي. وهناك من يهمُّه أن يكسب. لكن لا يهمه، كيف، ولا عن أي طريق. إن هؤلاء الذين يتاجرون في المخدرات يتاجرون في الهلاك، وتجارتهم أقوى من الحروب، مهما كانت الأسلحة التي تستخدم فيها. إنني أعلم أنكم تعرفون ذلك جيدًا. ولقد كانت لكم أكثر من مغامرةٍ ناجحة ضد تجار المخدرات لعل أشهر مغامرة كانت «المثلث الذهبي» تلك المنطقة التي تقع جنوبَ شرقِ آسيا.»

توقَّف رقم «صفر» دقائق، ثم قال: «إن تقارير عملائنا في منطقة أمريكا الوسطى تقول إن «بوريجا» سوف يقوم بعملية تهريبٍ ضخمة. هذه العملية لن تصل إلى أمريكا فقط، ولكنها سوف تصل إلى معظم دول العالم، وهذه العملية لن تبدأ إلا بمكالمةٍ تليفونية من «بوريجا» إلى مساعده «جراتز»، فإذا لم تحدُث المكالمة فلن تتم العملية، وفي هذه الحالة يمكن السيطرة عليها.»

صمت لحظةً ثم قال: «إن مغامرتكم هدفها «بوريجا» نفسه.»

فجأةً اختفت الخريطة، وظهرت صورة رجلٍ ضخم، تظهر عليه الثقة، وتبدو في ملامحه القسوة، في حوالي الخمسين من العمر. يلبس ثيابًا كاكية اللون، وكأنه أحد قُوَّاد الجيوش. ظلت الصورة دقيقة ثم اختفت، وظهرت صورةٌ أخرى لـ «بوريجا»، وهو يلبس ثيابًا عادية، ويضع فوق رأسه قبَّعة ويضع نظارةً سوداء فوق عينَيه. اختفت الصورة مرة أخرى، ثم ظهرت له صورةٌ ثالثة، تختفي فيها كثير من ملامحه، فيبدو وقد ظَهرتْ له لحية، ووضع فوق رأسه طاقية من النوع الذي يلبسه الباكستانيون. مرةً أخرى اختفت الصورة، ثم ظهر وقد وضع فوق رأسه عمامةً كبيرة، وامتد شارباه بطريقةٍ لافتة للنظر، وتكرَّرتْ صورٌ كثيرة يظهر فيها «بوريجا» في أشكالٍ مختلفة. فجأةً قال رقم «صفر»: «لقد رأيتم «بوريجا»، إنه يهوى التخفِّي في شخصياتٍ مختلفة، وقد يتخفى في ملامحَ عديدة مختلفة أيضًا، عن طريق الماكياج. وهو يفخر حتى الآن بأن البوليس الدولي لم يستطع القبض عليه.»

توقَّف رقم «صفر» عن الكلام. كان الشياطين مبهورين بهذه الشخصية الغريبة، لكنهم في نفس الوقت كانوا يتمنَّون أن يلتقوا بها.

قال رقم «صفر»: «إن «بوريجا» سوف يتحرك من جزيرة «بهاما» بعد يومَين. وحتى الآن لا أحد يدري إلى أين؛ لذا فإن وصولكم إلى هناك سوف يكون ضرورةً قبل أن يتحرك.»

سكت لحظةً ثم أضاف: «وأحب أن أَلفِت نظركم إلى أن «بوريجا» يستخدم جيشًا من المهرِّبين والمساعدين والحرَّاس، حتى يكاد أن يكون جيشًا حقيقيًّا؛ فهو مُزوَّد بأحدث الأسلحة، وله طائراتٌ خاصة وهكذا.»

فجأةً لمَعَت إشارة في أعلى الخريطة، فقال رقم «صفر»: «يبدو أن هناك معلوماتٍ جديدة!» ثم أخذَت خطواته تبتعد شيئًا فشيئًا حتى اختفَت.

رقم «صفر» يثير مشكلة

كان الشياطين يجلسون في حالة صمتٍ تام؛ فقد كانت شخصية «بوريجا» الغريبة، تجعلهم في حالة تفكيرٍ دائم. فجأةً قالت «إلهام»: برغم أن «بوريجا» شخصيةٌ غريبة، إلا أنه شخصيةٌ مثيرة أيضًا!

أضاف «عثمان»: إن عملية اختفائه الدائم تجعل مطاردته مسألةً صعبة، لكنها شائعة في نفس الوقت.

علَّقتْ «ريما»: إذا كانت المسألة هي القبض على «بوريجا»، فلماذا لا يتم القبض عليه بطريقةٍ رسمية؟ إن الشرطة الدولية، يمكن أن تقبض عليه.

أجاب «أحمد»: الشرطة لا تستطيع القبض عليه بدون دليلٍ يمكن إثباته؛ فأعوانه هم الذين يُنفِّذون أوامره ويظل هو بعيدًا، وبذلك لا يُوجد دليل ضده؛ فهو لا يتاجر في المخدرات بنفسه، بجوار أن المعلومات التي لدينا معلوماتٌ خاصة لم يتوصل إليها أحد قبلنا!

فجأةً جاء صوت رقم «صفر» يقول: «لقد غادر «بوريجا» جزيرة «بهاما» منذ نصف ساعة، في طريقه إلى «بورتريكو».»

نظر الشياطين إلى بعضهم البعض، وقال «بو عمير»: يبدو أنه يُغيِّر خطَطَه بسرعة حتى لا يستطيع أحد أن يتعرف عليه.

فقال «عثمان»: إنه يُغيِّر خط سيره كما يغير شكله!

أخذَت خطوات رقم «صفر» تقترب، فانتظر الشياطين، بعد لحظة جاء صوته يقول: «ها أنتم قد عرفتم أنه قد غيَّر طريقه من «بهاما» إلى «بورتريكو». وأظن أنه سوف يُغيِّر مكانه كثيرًا.»

انتظَر لحظةً ثم قال: «إن هذه مغامرةٌ شاقة، وهي تحتاج منكم إلى سرعة الحركة، بجوار الملاحظة الدائمة ... فهو يمكن أن يتخفَّى داخل أية شخصية.»

مرَّت دقيقة، دون كلمة من رقم «صفر»، وأخيرًا قال: «الآن يمكن أن تبدءوا مغامرتكم، وسوف يكون الاتصال بيننا مستمرًّا.»

ثم أخذَت خطواته تبتعد بسرعة. انتظر الشياطين بعض الوقت، ثم قال «أحمد»: علينا أن نتحرك بسرعة، إن «بوريجا» لا يعرف أحدٌ مكانه لكثرة تغيُّر قراراته؛ ولذلك فعلينا أن نكون بنفس المقدرة على الحركة والتغيير!

أخذ الشياطين طريقهم إلى حجراتهم حتى يستعدوا. في نفس الوقت، تكون مجموعة المغامرة قد تحدَّدت ... عندما دخل «أحمد» حجرته وجد رسالة على السرير ... وقف يبتسم.

قال لنفسه: إن رقم «صفر» يكشف لي لغز قصاصة الجريدة، ولو أني قد عرفتُ من خلال حديثه في الاجتماع» ... أسرع بفض الرسالة التي كانت تقول: «لقد أردتُ أن أستثير خيالك فقط!»

ابتسم مرةً أخرى، وأسرع يُجهِّز الحقيبة السحرية. فجأةً رن جرس التليفون، فضغط زرًّا فيه وجاء صوت «ريما»: هل انتهيت؟

ردَّ: «أحمد»: نعم، وأنا في الطريق إلى السيارة!

صمتَت «ريما»، ثم قالت: من هي مجموعة المغامرة؟

لفت نظره أن رقم «صفر» لم يُحدِّد مجموعة المغامرة فعلًا، قال في نفسه: هل يقصد الزعيم أن يخرج الشياطين جميعًا في هذه المغامرة؟

قطع تفكيره صوت «ريما» يقول: هل عرفت المجموعة؟

قال «أحمد»: ليس بعد!

تساءلَت: كيف سنخرج للمغامرة ونحن لم نعرف؟

فجأةً رن جرسٌ آخر في التليفون، فضغط زرًّا مختلفًا، وجاء صوت «عثمان»: إن رقم «صفر» لم يحدد مجموعة المغامرة!

ردَّ «أحمد»: نعم.

تساءل «عثمان»: ما هو المقصود؟

لم يَدرِ «أحمد» ماذا يقول، لكنه ردَّ بعد لحظة: سوف أتحدث إلى الزعيم حالًا!

في نفس الوقت كانت «ريما» قد سمعت ردَّ «أحمد»، فقالت: ينبغي أن يحدث ذلك بسرعة، حتى لا نتأخر!

ضغط «أحمد» الزرَّين، فانقطع الاتصال بينه وبين «عثمان» و«ريما». فكَّر لحظة، ثم ضغط زرًّا في جهاز التليفون، فجاء صوت رقم «صفر» يقول: «أعرف أنكم في انتظار تحديد المجموعة، لكني هذه المرة سوف أترك لكم حرية التصرف.»

ثم انقطَعَت المكالمة. وقف «أحمد» حائرًا، يختار من يكون بين المجموعة. إن الشياطين سوف يغضبون ...

قال في نفسه: إنه اختبارٌ جديد يضعنا فيه رقم «صفر»!

انتظر لحظة، ثم همس لنفسه: إن رقم «صفر» يقصد شيئًا بالتأكيد، فلماذا قصاصة الجريدة مرةً ثم هذه المرة لا يُحدِّد مجموعة المغامرة؟

فجأةً دق جرس التليفون ... ضغط الزر واستمع: من زملاء المغامرة؟

كان الذي يتحدث هو «قيس» ... فقال له أحمد: نحن في حاجة إلى اجتماعٍ سريع في غرفة الشطرنج.

سأل «قيس»: هل هناك سبب؟

ردَّ «أحمد»: نعم، سببٌ خطير!

ثم تحدَّث إلى بقية الشياطين، وأخذ طريقه إلى غرفة الشطرنج، كانت الغرفة تقع في نهاية دائرة تضم غرف الشياطين جميعًا، وكانت غرفة «أحمد» تقع في أبعد نقطة من الدائرة؛ ولذلك فعندما وصل إلى هناك كانوا جميعًا في انتظاره، كان التفكير يظهر على وجهه فابتسمَت «إلهام» قائلة: لغز جديد!

ابتسم «أحمد» وهو يأخذ مكانه بينهم، وقال: نعم، لغزٌ جديد، لكننا لن نبحث عن حله الآن!

سأل «باسم»: ما الحكاية إذن؟

مرَّت لحظة قبل أن يقول «أحمد»: لقد ترك لنا الزعيم حرية اختيار المجموعة!

اندهش الشياطين؛ فهذه أول مرة يفعلها الزعيم. نظروا إلى بعضهم البعض، وقالت «زبيدة»: ما المقصود بذلك؟

ردَّ «أحمد»: لا يهم المقصود الآن، المهم أن نبدأ المغامرة، ثم نفكِّر فيما بعدُ في المقصود!

انتظر لحظة وقال: أولًا يجب أن ننصرف بسرعة؛ لأن عامل الوقت ضروري؛ فقد نتأخر، وتكون شحنة المخدرات قد غزت البلاد. يجب أن نُحدِّد وبسرعة، من هم أعضاء المغامرة!

لم يرُدَّ أحد مباشرة، لكن «إلهام» كانت أوَّل من تحدث: نختار المجموعة حسب الحروف الأبجدية. مثلا «أحمد»؛ لأن أسمه يبدأ بحرف الألف ... و«إلهام» وهكذا ...

ابتسم «أحمد» وقال «عثمان»: نختار أصحاب النسب الكبيرة في تمرين الرماية اليوم!

واقترح «قيس»: نجعلها تجربة، ويشترك الشياطين جميعًا في المغامرة!

اهتم الشياطين لرأي «قيس» فأكمل: إن عندي أسبابًا لذلك، إن «بوريجا» يتحرك في أكثر من مكان ... بجوار أنه يغيِّر شكله دائمًا، وهذا يحتاج إلى تغطيةٍ واسعة ... فلماذا لا نجعلها تجربة؟

تساءلَت «زبيدة»: وكيف سنتحرك؟

ردَّ «قيس»: نجعل لنا مركزًا، كمقر قيادة ومتابعة، في منطقةٍ متوسطة قريبة من معظم المناطق التي يمكن أن يتحرك فيها «بوريجا».

ثم وقف وقال: إنني سوف أشرح لكم وجهة نظري بطريقةٍ أوضح!

اقترب من أحد جدران الغرفة، ثم ضغط زرًّا، فظهرت خريطة للعالم. قال: إنني أستطيع أن أشرح لكم فكرتي.

وضع إصبعه على مدينة «نيويورك» في أمريكا، ثم قال: هنا، يمكن أن يكون مقر المتابعة، وأنتم تعرفون أن رحلتنا تبدأ بأول نقطة في «روما»، ثم نيويورك، حيث نقطع المسافة بين أوروبا وأمريكا في نيويورك. تأتي النقطة الثالثة وهي «هافانا» في كوبا، ثم جزيرة «هسبانيولا»، وأخيرًا «بورتريكو». لو أننا حددنا أقرب مكان يمكن أن يتحرَّك فيه «بوريجا». فإنه لن يخرج من هذه الدائرة.

توقف لحظة، ثم قال: إن مجموعةً واحدة لن تستطيع أن تُغطِّي هذه الدائرة كلها، وإذا نحن خرجنا بأكثر من مجموعة فإن تغطية الدائرة سوف تكون أسهل وأسرع؛ فبهذه الطريقة لن يخرج «بوريجا» وسيقع في أيدي مجموعة منَّا.

ثم ابتسم قائلًا: أرجو أن أكون قد وضَّحتُ وجهة نظري.

لم يقل أحد من الشياطين رأيه. لكن «أحمد» قال: نأخذ الآراء!

بدأ «أحمد» يعُد الأصوات الموافقة والمعارضة، وكانت الأصوات متساوية، ابتسم قائلًا: ينبغي أن نعرض الرأي على الزعيم.

وما إن انتهى من كلماته حتى جاء صوت الزعيم.

الشياطين ... في سلةٍ واحدة

كانت أوَّل كلمة قالها رقم «صفر» هي: «حسنا!» ثم توقف عن الكلام. ابتسم «قيس» لأن الزعيم قد وافق على فكرته، في نفس الوقت كان الشياطين ينظرون إلى بعضهم في تساؤل. جاء صوت الزعيم يقول: «إنها فكرةٌ جيدة، و«قيس» شرح وجهة نظره جيدًا، وهو محق؛ لأن المغامرة تحتاج إلى جهودٍ كبيرة. وأنا أضُم صوتي إليه.»

ثم أضاف: «يجب ألا تضيعوا وقتًا.»

قال «أحمد»: إذن، نُقسِّم أنفسنا ثلاث مجموعات للعمل، ومجموعة للتنسيق، سوف تكون المجموعة «أ» مكونة من «أحمد» و«عثمان» و«إلهام»، و«بو عمير»، و«رشيد»، المجموعة «ب» من «مصباح»، «هدى»، «فهد»، «خالد»، «قيس». أما مجموعة التنسيق، وهي المجموعة «ن»، فتتكون من «باسم»، ومعه «ريما» و«زبيدة»، وهذه سوف يكون مقرها «نيويورك». مرةً أخرى، جاء صوت رقم «صفر»: «هذا تقسيمٌ عملي وممتاز، هيا إلى العمل.»

لكن فجأةً أُضيئت لمبةٌ حمراء في أعلى الخريطة، فقال الزعيم: «انتظر لحظة؛ فقد تكون هناك أخبارٌ جديدة!»

أخذَت أقدام رقم «صفر» تبتعد. في الوقت الذي كان فيه الشياطين يتمنَّون أن يبدءوا مغامرتهم؛ فهذه أول مرة يخرجون فيها معًا، في مغامرةٍ واحدة. لم يغب الزعيم طويلًا؛ فبسرعة، كانت أقدامه تقترب، حتى توقفَت، ثم قال: «لقد غير «بوريجا» خط سيره مرةً أخرى!»

سكت لحظة ثم قال: «إنه سوف يتجه إلى نيويورك!»

قال «أحمد»: ينبغي أن نتحرك ونصل إلى هناك، مع اتصالنا بالمقر والعملاء؛ فنحن لن نظل في انتظار تحركاته التي تتغيَّر كل لحظة.

ردَّ الزعيم: «هذا حقيقي، وأتمنى لكم التوفيق.»

في الوقت الذي انصرف فيه الزعيم كان الشياطين يغادرون القاعة أيضًا. وكان «أحمد» يفكر: إنه رجل غريب فعلًا؛ فهو لا يستقر في مكان، ولا يستقر على رأي أيضًا.

اتفق الشياطين على اللقاء بعد ربع ساعة، وكان أول من وصل إلى مكان اللقاء هو «عثمان». وعندما وصل الجميع خرجَت سيارتان تحمل الشياطين إلى خارج المقر السري، إلى حيث تقف الطائرة ... وعندما استقرُّوا فيها دارت محركاتها بسرعة، ثم أخذت طريقها إلى الفضاء. إن الطريق إلى أمريكا طويل؛ فسوف يستغرق الطيران أكثر من عشر ساعات. وكانت هذه فرصة لينال الشياطين قسطًا من النوم؛ فهم في العادة لا يعرفون الراحة منذ أن تبدأ المغامرة ... كان الوقت عندما أقلعت الطائرة حوالي منتصف النهار. وهذا يعني أنهم سوف يصلون منتصف النهار أيضًا؛ لأن فارق التوقيت يقترب من الساعات العشر. لقد نام معظم الشياطين فعلًا. لكن «أحمد» و«عثمان» و«رشيد». كانوا ما زالوا مستيقظين. كان «أحمد» يفكِّر، وفي النهاية قال: إن مغامرتنا هذه المرة تبدو غريبةً ومثيرةً جدًّا، إن خروج الشياطين جميعًا في مغامرةٍ واحدة لهو حدثٌ بالنسبة لنا.

ردَّ «عثمان»: هذا صحيح.

ثم ابتسم وأضاف: غير أننا دائمًا كنا نتمنَّى أن نكون معًا في مغامرةٍ واحدة!

ابتسم «رشيد» وقال: وحتى تستطيع «إلهام» أن تكتب انطباعها عن المغامرة. هل تذكران هذه الحكاية؟

ردَّ «أحمد»: نعم، هذه فعلًا فرصةٌ طيبة لها، وها هي تبدأ المغامرة من بدايتها وأمامها الشياطين جميعًا.

فجأة جاء صوت «خالد» وكانوا يظنون أنه نائم. قال: يبدو أنني سأنضم إليكم، إن النوم يرفض زيارتي!

ابتسم «عثمان» وقال: لا بد أنك لم تَدعُه للزيارة!

وضحك الشياطين ضحكاتٍ خافتة حتى لا يوقظوا الباقين. اقترب «خالد» حتى انضم إليهم ثم قال: إن شخصية «بوريجا» تشغل بالي كثيرًا؛ فهو شخصيةٌ مثيرة وغامضة؛ فهو يتغير بين لحظة وأخرى. وقد شاهدنا له صورًا كثيرة مختلفة.

سأل «عثمان»: وماذا في ذلك؟

قال «خالد»: إن هذا الرجل ينتقل من مكان إلى مكان بسرعة، ويغيِّر اتجاهه بسرعة، ويهوى تقمُّص الشخصيات ويغيِّر ملامحه، كيف يمكن أن نجده؟

مرَّت لحظة قبل أن يقول «أحمد»: يستطيع «بوريجا» أن يغيِّر شكله، ويستطيع أن يتقمَّص الشخصيات التي يريدها، لكنه لا يستطيع أن يُغيِّر عاداته.

صمت لحظة ثم قال: لقد قرأتُ دراسةً عن شخصية «بوريجا» أعدَّها مركز الأبحاث في المقر السري. وأهم ما في الدراسة هو التركيز على عاداته، فهناك حركةٌ عصبية في عينَيه، سواء كانت نظارة شمس أو نظارةً طبية، ودائمًا يخلع النظارة عن عينَيه، ويعيدها مرةً أخرى. وكأنه عندما يرفع النظارة يتذكر الحركة العصبية، فيعيدها من جديد، و«بوريجا» يستخدم يده اليسرى كثيرًا وهو يتحدث. ويده اليسرى لا تتوقف عن الحركة كلما تحدَّث، فإذا أراد أن يُخفي هذه العادة، فإنه يمسك شيئًا في يده اليسرى، ويظل يعبث به.

كان الشياطين يستمعون إليه في اهتمام، ثم قال «خالد»: هذه فعلًا مفاتيحُ جيدة للشخصية، برغم أنها تحتاج إلى ملاحظةٍ دقيقة وهي قد لا تلفت نظرنا في الحالات العادية، لكنها الآن تفيدنا إلى حد بعيد!

أضاف «عثمان»: إن المهم في المسألة كلها هي تحديد المكان الذي يقيم فيه «بوريجا»؛ فبدون ذلك لن نستطيع تطبيع أي شيء؛ فأمريكا واسعة، ولن نستطيع أن نعثر على «بوريجا» وسط هذه الملايين، أو وسط هذه المساحات الشاسعة!

ردَّ «أحمد»: إن عملاء رقم «صفر» يعملون بجهدٍ كبيرٍ، ويكفي أنهم عرفوا أين سوف يتجه «بوريجا» بالرغم من أنه غيَّر اتجاهه مرتَين!

ثم ابتسم وأضاف: أعتقد أننا في حاجة إلى الراحة؛ فالمغامرة سوف تكون شاقةً للقبض على هذا الثعبان، الذي يلبس كل دقيقة جلدًا مختلفًا.

قام «خالد» واتجه إلى مكانه، في حين استغرق «أحمد» و«عثمان» و«رشيد» في النوم ... انقضى النهار. وعندما فتح «أحمد» عينَيه، وحدَّق من خلال النافذة في الفضاء، كان الظلام قويًّا. نظر حوله في اتجاه الشياطين وكانوا جميعًا نائمين. ابتسم وقال: الشياطين جميعًا في سلةٍ واحدة!

مضت لحظة، ثم أضاف: لو أن عصابة «سادة العالم» تعرف أننا في طائرةٍ واحدة، لكانت هذه فرصة العمر بالنسبة لها!

مرَّت دقائق كان «أحمد» يُهيِّئ نفسه خلالها، لكي يعود للنوم من جديد. وهذا ما حدث فعلًا؛ فبعد قليل كان قد استغرق في النوم ... إن الشياطين يملكون عادةً هائلة، هي قدرة التحكُّم في أنفسهم؛ فهم ينامون عندما يُريدون، ويستيقظون عندما يريدون أيضًا. وقد تمر عليهم أيام لا يعرفون فيها النوم؛ ولذلك، فعند بداية كل مغامرة يُحاولون أن

يناموا نومًا كافيًا، حتى لا يحتاجوه وقت العمل، هذه المرة لم يوقِظْهم إلا صوتُ كابتن «صقر» وهو يقول: إننا ندخل الميدان الآن.

كان «أحمد» أول من فتح عينَيه، أزاح الستار الصغير عن نافذة الطائرة، وكان ضوء النهار قويًّا. مرةً أخرى تردَّد صوت كابتن «صقر»: أظن أن النسور على استعدادٍ للطيران!

ابتسم «أحمد» وحيَّا كابتن «صقر» الذي قال: أمامنا بعض الوقت لتناول الفطور! وبسرعة كانت «إلهام» و«زبيدة» و«ريما» تقمن بدور المضيفات في الطائرة. وفي دقائق كان الشياطين قد انتهَوا من طعامهم، وأخذ كلٌّ منهم مكانه؛ فقد تردَّد صوت كابتن «صقر» بطلب ربط الأحزمة؛ لأنهم سوف ينزلون في مطار نيويورك الكبير.

وخلال ربع ساعة كانت الطائرة تأخذ طريقها إلى أرض المطار، الذي كان يزدحم بالطائرات، وقال «أحمد» في نفسه: الآن، تبدأ المغامرة!

نظر في اتجاه «قيس» الذي ابتسم قائلًا: نرجو ألا يضيع وقتٌ طويل في مطاردة «بوريجا».

ردَّ «أحمد»: نرجو ذلك!

كانت الطائرة قد توقَّفَت، وانفتح بابها، وبدأ الشياطين يتجهون إليه. اقترب كابتن «صقر» من «أحمد» وقال: هل أنتظر؟

ابتسم «أحمد» وأجاب: أرجو ذلك.

ثم ودَّع الكابتن، وأخذ يهبط سلم الطائرة.

ظهور رجل غامض

فجأة، شعر «أحمد» بدفء جهاز الاستقبال في جيبه، فعرف أنها رسالة. قال في نفسه: هل هي من رقم «صفر»، أو إنها من أحد العملاء؟

كان لا يزال يهبط سلم الطائرة، وكان الشياطين قد هبطوا جميعًا. نظرت له «إلهام» فرأت علامات التفكير على وجهه ... اقتربَت منه وهمسَت: هل هناك شيء؟ همس يرُدُّ: يبدو أن هناك رسالة!

سألَت: من أين؟

أجاب: لا أدري بعدُ.

اتجهوا خارجين من أرض المطار إلى حيث صالة الخروج، وعندما دخلوها لفت نظر «أحمد» علامةٌ تردَّدتْ في الهواء ثم اختفت. نظر في اتجاهها. ظَهرتِ العلامة مرةً أخرى، كانت تبدو وكأنها فراشةٌ تطير في الهواء ثم تختفي. غير أنه لم يفهم. مرةً ثالثة ظهرت العلامة فعرف. كانت ترسم رقم «١٣»، فعرف أنها رسالة من أحد العملاء. نظر إلى الشياطين ثم همس: هيا بنا مباشرة إلى باب الخروج!

اتجه الشياطين خارجين، وعند الباب تقدَّم رجلٌ يحمل مجموعة من الجرائد وينادي معلنًا عن بضاعته، ولما اقترب من «أحمد» همس: الحوت، سوف يصل بعد قليل!

ظَهرتِ الدهشة على وجه «أحمد» أسرع يضع يده في جيبه، ويُعيد شريط التسجيل، ثم بدأ يقرأ الرسالة الشفرية التي سجَّلها جهاز الاستقبال. كانت الرسالة تقول: «إن «بوريجا» سوف يرحل إلى «روما» بعد ساعة» ... فكَّر في الكلمات التي قالها بائع الجرائد، وعرف أن المقصود بالحوت هو «بوريجا». نظر إلى الشياطين الذين كانوا يراقبونه، ونقل إليهم آخر الأخبار، كان «أحمد» يتحدَّث بلغة الشياطين.

فقال «عثمان»: من يدري، قد يكون أحدٌ آخر غير «بوريجا» هو الذي سوف يسافر!

نظر له «أحمد» لحظة، كان يفكِّر بسرعة، فأضاف «رشيد»: نحن نعرف أن «بوريجا» يمكن أن يتخفَّى في أي شخصية، وقد يرسل مكانه من يسافر، وقد يتقمَّص شخصيته!

فكر «أحمد»: إن الشياطين يحتاجون إلى اجتماعٍ سريع الآن لمناقشة هذه الاحتمالات الجديدة.

... انتظر لحظة ثم قال: إذن، لقد وصل «بوريجا» إلى نيويورك، وسوف يرحل منها حالًا.

توقف لحظة، ثم قال: يبدو أن «عثمان» على حق في تفكيره، فهل يمكن أن يصل «بوريجا» إلى نيويورك، ثم يرحل مباشرة؟

قال «قيس»: إنه يمكن أن يتصرَّف أي تصرُّف!

وقال «بو عمير»: إنني مع «أحمد» و«عثمان».

فجأةً صاح بائع الجرائد: جريمة اليوم، الحوت الذي ابتلع السفينة!

ثم أخذ يُكرِّر كلماته، في نفس اللحظة كانت أعين الشياطين تمسح الصالة الواسعة، وهمس «أحمد»: ينبغي أن نتفرق، وأن يقف اثنان عند باب الدخول!

بسرعة تفرَّق الشياطين. فجأةً ظهرت الدهشة على وجه «أحمد»؛ فقد كان رجلٌ غريب يعبر باب صالة المطار، كان وحيدًا، يلبس ملابس رعاة البقر، ويضع على عينَيه نظارة شمسٍ سوداء وفي يده عصًا. قال في نفسه: هل يمكن أن يكون هذا الرجل هو «بوريجا»؟

كانت أعين الشياطين جميعًا قد اتجهت نحو الرجل. فكَّر «أحمد»: هل يمشي «بوريجا» بلا حرس؟ ... أو إن حُرَّاسه يندسُّون وسط الناس، فلا يعرفهم أحد، حتى لا يلفتوا الأنظار؟

ظل «أحمد» يتبعه وهو يأخذ طريقه إلى باب الدخول إلى المطار. كان يفكِّر بسرعة: إلى أين يتجه الرجل الآن؟ وهل سيركب طائرةً عادية؟ أو إن له طائرةً خاصة؟ وإذا ركب طائرةً خاصة فهل يتبعه الشياطين جميعًا أو تقوم إحدى المجموعات بمتابعته؟ تجاوز الرجل الباب، ثم اختفى ... أسرع «عثمان» إلى «أحمد» وقال: يبدو أنه «بوريجا» فعلًا، أقترح أن تتبعه المجموعة «أ».

انتظر «أحمد» لحظة ثم أرسل رسالةً سريعة إلى الكابتن «صقر»، يطلب منه مراقبة رجل الكاوبوي. في نفس اللحظة نظر في اتجاه الشياطين يدعوهم إلى اجتماعٍ سريع، في أحد أركان الصالة الواسعة، التي كانت مزدحمة تمامًا.

اجتمع الشياطين بسرعة، فقالت «إلهام»: أخشى أن نفقد أثَره.

وقالت «ريما»: إن علينا أن نتبعه!

فجأة، سجَّل جهاز الاستقبال رسالة، عرف أنها من الكابتن «صقر».

ظل يتابع الرسالة، وعرف معناها، قال للشياطين: إن الكاوبوي ركب طائرةً صغيرة، ويبدو أنه سوف ينتقَّل إلى داخل أمريكا وليس خارجها!

قال «رشيد» بسرعة: إذن تتبعه مجموعةٌ بطائرة الشياطين، وتكون على اتصال بنا.

في النهاية اتفقوا على ذلك. وقال «أحمد»: على المجموعة «ب» أن تقوم بالمهمة.

وبسرعةٍ تحرَّك «مصباح» و«هدى» و«فهد» و«خالد» و«قيس» في طريقهم إلى أرض المطار حيث تنتظر طائرة الشياطين.

أما المجموعة الأولى التي يرأسها «أحمد»، والمجموعة «ج» التي تقوم بالتنسيق، فقد اتجهوا مباشرة خارج المطار. كانت هناك سيارتان في الانتظار. ركبت المجموعة الأولى سيارة، أما الأخرى وهي تضم «باسم» و«ريما» و«زبيدة» فقد استقلَّت السيارة الأخرى. ما إن أغلق «أحمد» باب السيارة، حتى جاء صوتُ عميل رقم «صفر» يرحِّب بالشياطين، ويقول: إن الفندق اسمه «ريجنس» وسوف تنزل فيه مجموعة، أما المجموعة الأخرى فسوف تنزل في شقة في شارع ٩٠٨، وسوف يتم الاتصال بها.

تحدَّث «أحمد» إليه وأخبره أن الحوت قد انتقل إلى مدينةٍ أخرى، ليست معروفة الآن، وأنه لم يغادر أمريكا، فجأةً انقطع الاتصال بين «أحمد» والعميل. ظَهرتِ الدهشة على وجه «أحمد» حتى إن «إلهام» قالت: ماذا حدث؟

أخبرهم «أحمد»، فقال «عثمان»: هل يكون رجال «بوريجا» يراقبون اتصالنا؟

ردَّ «أحمد»: لا أظن!

قال «بو عمير»: هل يكون شيء قد وقع للعميل؟

همس «أحمد»: لا أدري.

صمت لحظة ثم قال: سوف أعاود الاتصال به!

بدأ اتصاله، لكن خط الاتصال لم يكن يُسجِّل شيئًا. همس: لا بد أن العميل قد وقع له حادث!

لكن فجأةً رن جرس التليفون في سيارة الشياطين ... ضغط «أحمد» زرًّا في التليفون، دون أن يرفع السماعة، فجاء صوت العميل يقول: معذرة، فقد انقطعَت المكالمة، هناك أخبارٌ جديدة، سوف تصل إليكم في محطة الوصول!

فَهِم الشياطين الذين كانوا يتابعون المكالمة أن نقطة الوصول هي فندق «ريجنس»، فقال «أحمد»: إلى اللقاء ... إذن.

كان «رشيد» هو الذي يقود السيارة التي كانت تقترب من مدينة نيويورك. قالت «إلهام»: لا بد أنها أخبارٌ هامة، ما دام العميل لم يذكرها في التليفون.

ردَّ «بو عمير»: هذا صحيح، وأتوقع أن تكون خاصة بهذا الرجل الغامض «بوريجا»، وربما يكون «الكاوبوي» ليس هو «بوريجا» الحقيقي وإنما هي خدعة فقط.

وصلَت السيارة إلى فندق «ريجنس» فغادرها الشياطين مباشرة، وعندما كانوا يقتربون من باب الدخول ظهَرتْ فتاةٌ رقيقة جميلة، واقترَبت من «إلهام»، ثم فجأة مدت يدها بالتحية وهي تهمس: إنني أحمل الأخبار الهامة، دعينا نتحدَّث قليلًا حتى لا نلفت نظر أحد.

نظرت «إلهام» إلى الشياطين، ففهم «أحمد» ماذا تريد، فاتجه هو وبقية المجموعة إلى الفندق، في حين وقفَت «إلهام» مع الفتاة تتحدثان. غير أن «أحمد» لم يدخل الفندق مباشرة؛ فقد ظل يقف خارجه، في حين دخل الشياطين، كان يخشى أن تكون الفتاة خدعةً جديدة، إلا أنه لم يقف طويلًا؛ فقد رأى الفتاة وهي تُقدِّم لـ «إلهام» مظروفًا، وضَعَته «إلهام» في حقيبتها مباشرةً ثم تبادلتا بعض الكلمات، وكان «أحمد» قد دخل الفندق في انتظار وصول «إلهام». وكان يفكِّر: تُرى! ما هي هذه الأخبار الهامة؟

أسرع مغامرة ... للشياطين

لم تتأخر «إلهام» كثيرًا؛ فبعد قليل، كانت تدخل من باب الفندق، واتجهَت مباشرة إلى الشياطين، الذين كانوا يجلسون في ركنٍ من القاعة. اتخذت مكانًا بجوار «أحمد»، ثم فتحَت حقيبتها في هدوء، وأخرجَت الخطاب، فتحه «أحمد» بسرعة، ثم جرى بعينَيه فوق الكلمات، وظهَرتِ المفاجأة على وجهه.

سال «عثمان»: ماذا حدث؟

همس «أحمد»: لقد انقلبت خطتنا تمامًا.

قال «رشيد»: كيف؟

ردَّ «أحمد»: سوف يسافر «بوريجا» إلى جزيرة قبرص، في نفس الوقت سوف تطير طائرةٌ خاصة تحمل مساعده «جراتز» إلى نفس الجزيرة. وهناك، سوف تنتقل شحنة المخدِّرات إلى إحدى ناقلات البضائع وسوف ترحل إلى مصر، وتمُر في قناة السويس في طريقها إلى المنطقة العربية، وخلال الرحلة سوف تُنزِل البضاعة في عدة أماكن!

هتفَت «إلهام»: إنها مؤامرة ضد منطقتنا.

قال «أحمد» بسرعة: ينبغي أن نتحرك إلى قبرص حالًا!

صمت لحظة ثم أضاف: إننا نحتاج الطائرة الآن، ولا ندري أين هي.

قال «بو عمير»: إن المجموعة الثالثة، وهي مجموعة التنسيق التي تضم «باسم» و«ريما» و«زبيدة»، عليها أن تُتابع حركة الطائرة والمجموعة الثانية، لتُعطيَها تعليماتٍ باللحاق بنا، وأقترح أن نرحل نحن فورًا إلى قبرص!

مرَّت لحظة قبل أن يقول «أحمد»: إن هذا هو الحل الوحيد الآن، حتى لا تضيع الفرصة.

انصرف الشياطين مباشرة إلى مطار نيويورك. في نفس الوقت أجرى «أحمد» مكالمةً تليفونية مع عميل رقم «صفر»؛ حتى يوفر لهم خمسة مقاعدَ في الطائرة المتجهة إلى قبرص. وكان ردَّ العميل: إن ذلك سوف يتم فورًا.

بعدها تحدَّث «أحمد» إلى مجموعة التنسيق وأصدر إليهم التعليمات، وعندما وصلَت السيارة إلى المطار كان هناك من يقف عند الباب، وقدَّم لـ «أحمد» مظروفًا ثم انصرف.

فتح «أحمد» المظروف وكانت به خمس تذاكر إلى قبرص، لكن كانت هناك محطات قبل الوصول إلى مطار «نيقوسيا» في قبرص، كانت أول محطة إلى روما في إيطاليا، ثم أثينا في اليونان، وأخيرًا نيقوسيا.

كانت الرحلة طويلة، لكن لم يكن هناك طريقٌ آخر. عندما صعد الشياطين إلى الطائرة تفرَّقوا في أنحائها. كانوا يُطبِّقون نظرية جمع المعلومات عن طريق السفر. وكانت أول رحلة هي أطولها، حتى الوصول إلى روما.

ولم يفُز الشياطين بأية معلومةٍ جديدة. في روما تغيَّرت الطائرة، وركبوا أخرى إلى أثينا. ومرةً أخرى تفرقوا في أنحاء الطائرة. وجاءت جلسة «أحمد» بجوار سيدةٍ عجوز، كانت مشغولة بقراءة إحدى المجلات النسائية. لكن فجأةً سمع حوارًا خلفه. كان اثنان يتحدثان، سأل الأول: إن «أركاديا» سوف تبحر من قبرص إلى مصر!

ردَّ الآخر: كان الأحسن أن تدور حول رأس الرجاء الصالح، فهو طريقٌ آمن.

قال الأول: إن الزعيم يريد أن يستغل فرصة حركة النقل النشطة بين بلاد المنطقة، فهذا سوف يُسهِّل العملية كثيرًا!

كاد «أحمد» أن يطير من الفرح؛ فها هي نظرية جمع المعلومات تثمر تمامًا، إن الصدفة قد قدَّمتْ أحسن التفاصيل؛ لذا يجب عليه استغلالها تمامًا. أخرج من جيبه قرصًا معدنيًّا رقيقًا، ثم انحنَى وثبَّته أسفل مقعده، قريبًا من الرجلَين؛ فهو بذلك سوف يُسجِّل كل ما يقولانه.

فكر لحظة ثم قال لنفسه: ينبغي أن أعرف شكلهما، حتى لا يفلتا منا!

وفي هدوء قام من على كرسيه، واتجه إلى حمام الطائرة، الذي يقع عند مؤخرتها. وكان ضروريًّا أن تقع عيناه على الرجلَين؛ لأنهما يجلسان في المقعد الخلفي. وفي الحمام كان يستعيد ملامح الرجلَين في ذهنه. لم يكن هناك ما يميزهما فهما رجلان عاديان. عاد مرةً أخرى إلى مقعده، لكنه تعمَّد وهو يمر بهما أن يصطدم بذراع الرجل الجالس ناحيته، ثم وقف يعتذر له. وكانت هذه فرصة أن يرى الرجلَين جيدًا، ثم جلس وقد أغمض عينَيه، وشرد، كان يشعر بالفرح، فأخيرًا ها هي خطة «بوريجا» عنده.

في نفس الوقت كان يفكِّر في بقية الشياطين؛ المجموعة الثانية التي خرجَت وراء رجل الكاوبوي، ومجموعة التنسيق الموجودة في نيويورك. فكَّر أن يرسل لزملاء المجموعة الأُولى الموجودين معه في الطائرة الأخبار الجديدة؛ فهو يعرف أنهم الآن قلقون تمامًا، لكنه خشي أن يحدث أي خطأ، فينكشف كل شيء.

أخيرًا وصلَت الطائرة إلى مطار أثينا. وعندما كانوا يغادرونها، كانت عيناه لا تفارق الرجلين كان «رشيد» يمشي بجواره، وعن طريق لغة الشياطين، همَس له بالمفاجأة، وكاد «رشيد» أن يقفز من الفرح.

وصل الركاب إلى صالة الانتظار، فهناك ساعة حتى تقوم الطائرة المسافرة إلى «نيقوسيا». أخذ «أحمد» مكانًا في صالة الانتظار يستطيع منه أن يرقُب الرجلين تمامًا، وضع يده في جيبه يتحسَّس القرص المعدني، الذي استعاده من تحت المقعد، قبل أن يغادر الطائرة، ولم يكن القرص المعدني الصغير، إلا جهاز تسجيل. انقضَت الساعة، وارتفع صوت مذيعة المطار يدعو الركاب إلى الطائرة المسافرة إلى «نيقوسيا»، تحرك الشياطين في بطء، حتى يظل الرجلان أمامهم.

نظر «أحمد» إلى «إلهام» التي كانت تعرف، وأصبحَت مهمتها أن تلتقط أية كلمةٍ يقولانها أثناء رحلة الطائرة. ولم تكن المسافة بعيدة؛ فلم تَمضِ ساعة حتى كانت تهبط في مطار «نيقوسيا». عندما كان «أحمد» ينزل سُلَّم الطائرة، وضع يده في جيبه وعن طريق جهاز الإرسال أرسل رسالةً شفرية إلى عميل رقم «صفر». وعندما كانوا عند الباب، كانت سيارة في انتظارهم ... كان الرجلان قد ركبا سيارةً بنية اللون، كانت في انتظارهما أيضًا.

قال «أحمد» لـ «رشيد» الذي كان يجلس إلى عجلة القيادة: لا تدَعِ السيارة تهرب منا.

وهكذا أخذ «رشيد» يتبع السيارة بمسافةٍ كافية. لكن فجأةً جاءت رسالةٌ شفرية، تلقَّاها جهاز الاستقبال.

وعندما ترجم «أحمد» الرسالة، ملأت الدهشة وجهه. لقد كانت الرسالة تقول: انتهت المغامرة بنجاح، ووقع الحوت في يدنا. إلى اللقاء في المقر السري.

نقل «أحمد» الرسالة إلى الشياطين، فعلَت الدهشة وجوههم أيضًا.

قالت «إلهام»: لا أظن أنه «بوريجا»؛ لأننا نعرف أنه في قبرص.

وقال «عثمان»: هل هي خدعةٌ جديدة؟

ثم ملأ الصمت السيارة، في حين ظل «رشيد» يتبع السيارة. كانت المسألة محيرة، فمن هو «بوريجا» إذن؟ هل هو الحوت الذي وقع في يد المجموعة الثانية، أو إنه الموجود حاليًا في قبرص؟

قطع «بو عمير» الصمت قائلًا: لا يهم، ينبغي أن نصل إلى الرجل الموجود في قبرص، فإذا كان هو «بوريجا» نكون قد نجحنا، وإذا كان «بوريجا» هو الحوت الذي وقع في يد المجموعة الثانية، فنكون قد نجحنا أيضًا.

مرَّت لحظات قبل أن يقول «أحمد»: أخشى أن يكون «بوريجا» شخصًا آخر غير الاثنَين.

كان الغروب قد بدأ يزحف على الطريق، وسيارة رجلَي العصابة تتقدَّم في اتجاه الشاطئ، في حين كانت سيارة الشياطين تتبعها بمسافةٍ كافية، فجأةً ظهرت بوابةٌ مرتفعة، ثم فُتح بابها، واختفَت السيارة داخله، ثم أغلَق الباب من جديد. توقفَت سيارة الشياطين، وقال «أحمد»: لا بأس، لقد عرفنا المقر، سوف ننتظر حتى يهبط الليل، ثم نبدأ عملَنا.

انتظر لحظةً ثم أخرج فراشةً إلكترونية، وأطلقها في اتجاه المبنى الذي كان يظهر خلف السور، وقال: سوف نعرف كل شيء بعد قليل!

أخرج جهاز الاستقبال وظل يقلِّب موجاته، حتى انطبقَت موجة الجهاز على موجة الفراشة الإلكترونية، ولم يمضِ وقتٌ طويل حتى بدأ الشياطين يسمعون الحوار الذي يدور داخل المبنى، والذي كانت تُرسِل به الفراشة الإلكترونية.

جاء صوت رجلٍ يقول: إن كل شيء جاهز أيها الزعيم!

مرت لحظة قبل أن يأتي صوتٌ رفيع يقول: لا بأس.

ثم فجأةً أطلق ضحكةً رفيعة، وهو يقول: وأين الزعيم الآخر؟

ردَّ صوت: إنه هناك في أمريكا، ولعلهم يظنُّونه أحد رجال السينما، وهو يرتدي ملابس الكاوبوي!

ابتسم «أحمد» فقد عرف أن المجموعة الثانية قد خُدعَت من «بوريجا» المزيَّف، بعد قليل أظلمت الدنيا تمامًا، فقال «أحمد»: هيا نبدأ العمل، سوف تظل «إلهام» في السيارة، تقوم بتلقِّي الرسائل، وسوف نقوم نحن بعملنا!

وفي دقائقَ كانوا يتسلَّقون السور في خفَّة، ثم يقفزون إلى الداخل، لكن فجأةً وقعَت أعينُ أحد الحرَّاس عليهم، وقبل أن يتحرَّك كان خنجر «رشيد» يأخذ طريقه إليه، فيصيب المسدَّس الذي أخرجه من حزامه.

في نفسِ الوقت كان الشياطين قد قفَزوا في سرعة أوصلَتهم إلى هناك. وفي دقيقةٍ كان الحارسان قد سقطا على الأرض، ثم أخفَوهما في الظلام، وبسرعةٍ كانوا يأخذون طريقهم إلى الفيلَّا الرائعة، التي تحفُّها الأشجار، ويصل إليها صوت الأمواج.

كان باب الفيلا مغلقًا، لكن هذه لم تكن مشكلة؛ فقد أخرج «عثمان» جهازًا دقيقًا وجهه إليه، وضغَط زرًّا فيه فانطلق شعاعٌ فتح الباب مباشرة. قفزوا إلى الداخل، ولم يكن هناك أحد. وفي مواجهة الباب كانت تُوجد غرفةٌ مُضاءة، عرف «أحمد» أن «بوريجا» بداخلها؛ فقد سمع صوتَه الرفيع يقول: سوف تصل «أركاديا» الليلة، وتبحر غدًا مع الفجر!

وقف «أحمد» بجوار الباب بزاوية، ثم ألقى نظرةً سريعة على داخل الحجرة، فوقعَت عيناه على «بوريجا». ابتسَم وهو يقول لنفسه: أخيرًا، هذا هو «بوريجا» الحقيقي.

نظر إلى «رشيد»، ثم همَس: أطفئ الأنوار.

أخرج «رشيد» مسدسه، وثبَّت فيه كاتم الصوت، ثم بمهارةٍ أطلق عدة طلقاتٍ على النجفة المعلَّقة في سقف الغرفة، فغرق كل شيء في الظلام، في نفس الوقت صرخ «بوريجا»: من هناك؟ ... وعلى نور الحديقة رأى «أحمد» «بوريجا» وهو يقفز من النافذة، وفي لمح البصر كان يطير خلفه، بينما اشتبك بقية الشياطين مع الرجلَين. سقط «بوريجا» على أرض الحديقة، قبل أن يتمكَّن من الوقوف، كان «أحمد» قد سقط فوقه وهو يُسدِّد له ضربةً عنيفة جعلَته يسقُط من جديد، لكنه كان رشيق الحركة فقد استدار وهو على الأرض، وأخرج مسدسه وصوَّبه إلى «أحمد» إلا أن «عثمان» كان هناك، يقف عند يده تمامًا، فضربه في يده فطار المسدس. ولم يستطع «بوريجا» أن يفعل شيئًا، وفي دقائق انتهى كل شيء، حتى إن «بو عمير» قال: إنها أسهل مغامرة قمنا بها حتى الآن!

وبسرعةٍ كان «أحمد» يُرسِل إلى رقم «صفر» التفاصيل، وفي دقائق وصل ردُّ رقم «صفر» يقول: «أهنئكم. وقد وصل «بوريجا» المزيف أيضًا!»

ثم أضاف في الرسالة: «السلطات القبرصية سوف تتولَّى مهمة «أركاديا»، أُحيِّيكم، وإلى اللقاء.»

وفي هدوءٍ كان الشياطين يغادرون القصر ومعهم «بوريجا»، ولم تكَد تصل خطواتهم نحو الباب حتى كانت الشرطة القبرصية أمامهم. تقدَّم قائد الشرطة وحيَّا الشياطين وشكرهم، ثم وضع السلاسل الحديدية في يد «بوريجا».

ودَّع «أحمد» القائد، ثم ركبوا سيارتهم واختفَوا في جوف الليل إلى مطار «نيقوسيا»، للعودة إلى المقر السري.

هنـــداوي